رؤى

المدرسة الصيفية للدراما في جرش.. حكايات عن قرب!

يوسف الشايب

كانت الفترة ما بين التاسع والعشرين من تموز الماضي، وحتى التاسع من آب، نقطة تحول لدى العديد من الطلاب المعلمين في المدرسة الصيفية للدراما، التي ينظمها مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، في مدينة جرش الأردنية، بمشاركة طلاب فلسطينيين وعرب، بعضهم عمره من عمر المدرسة، أي ثلاث سنوات.

الأجواء مميزة، ومختلفة، وحتى المناهج والمعلمين القادمين من بريطانيا، واليونان، إضافة إلى فلسطين، مختلفون في أدائهم وعلاقتهم بالمعلمين والمعلمات، الذين باتوا طلاباً في ليلة وضحاها، عن الطريقة النمطية في التعليم الجامعي أو المدرسي في معظم الدول العربية إن لم يكن جميعها، وهو ما يجعلك تلحظ علامات الرضا على محيّا معظم المستفيدين والمستفيدات من برنامج المدرسة الصيفية للدراما، على الرغم من المنهاج المكثف، و«الجدول المضغوط»، الذي يتواصل منذ التاسعة صباحاً، وحتى العاشرة مساء، في معظم الأيام، مع استراحات هنا وهناك، كان أطولها مدة استراحة متواصلة ليومين إلا ربعاً!

وتوزع المعلمون المشاركون على ثلاثة مستويات، بحيث يبلغ عدد المعلمين في المستوى الأول 34 معلماً ومعلمة، و19 معلماً ومعلمة في المستوى الثاني، و14 خريجاً (المستوى الثالث).

واشتملت المدرسة الصيفية، الممولة من مؤسسة «القطان» بالشراكة مع مؤسسة التعاون، وبالتعاون مع مسرح البلد في العاصمة الأردنية عمّان، على العديد من البرامج التي لا تخرج عن إطار توظيف الدراما في العملية التعليمية في المدارس.

وتقول منال عيسى، مديرة المدرسة الصيفية: منذ العام الأول للمدرسة، كانت الفكرة إتاحة الفرصة للمعلمين الفلسطينيين للتعرف على تجارب مختلفة ومتنوعة، عبر الاختلاط بمعلمين من دول أخرى، يحملون بالضرورة خبرات غير تلك التي يحملون، ولمسنا نجاحاً كبيراً للتجربة، وبخاصة أن المدرسة، إضافة إلى بعدها

التربوي، تحمل أبعاداً اجتماعية، وثقافية، وإنسانية، فالمعلمون مع الوقت يمتلكون رؤى مختلفة، مع الاحتكاك بزملائهم في الوطن العربي . . . النتائج التي حققها المعلمون الذين تعرضوا لتدريب على يد متخصصين عرب وأجانب، على مستوى مدارسهم، هو ما دفعنا لمواصلة المشروع، والاستمرار حتى السنة الثالثة، وفي السنوات المقبلة وفق المأمول، بل وزيادة عدد المستفيدين من المدرسة، وهو ما حصل هذا العام في المستوى الأول، وكذلك التنويع في المحاور التي تتناولها ورش المدرسة الصيفية للدراما، التي يشرف عليها متخصصون وأكاديميون من فلسطين، واليونان، وبريطانيا.

وتؤكد عيسى أن موضوع توظيف الدراما في التعليم، موضوع جديد على مستوى المدارس العربية، وليس في فلسطين فحسب، ومن هنا جاءت فكرة التوسع عربياً، بحيث تشتمل المدرسة الصيفية على طلاب من دول عربية عدة، وإن كانت الأغلبية من فلسطين . . . وقالت: وجود معلمين من دول عربية عدة يضفي بعداً إيجابياً ومهماً يمثل إضافة حقيقية للمدرسة الصيفية التي دخلت عامها الثالث، فاختلاف التعليم في الدول العربية، واختلاف الخبرات، عنصر إثراء مهم وحيوي أخذه مركز القطان للبحث والتطوير التربوي بعين الاعتبار . . . وهنا نتحدث عن الاختلاف في التجربة المهنية، والتجربة الاجتماعية.

ومن بين البرامج المستحدثة في المستوى الثالث من المدرسة الصيفية، وفق عيسى، ما يتعلق بالتدريب على إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة، وعبر الدراما، في المدارس النظامية، ومنها ما يتعلق بتطوير مهارات الكتابة المهنية لدى المعلمين، إضافة إلى ورشة حول الدراما والطفولة المبكرة، التي تتناول دور الدراما في التعليم في السنوات الأولى لالتحاق الطالب بالمدرسة؛ أي في المرحلة التأسيسية.

ولم تقتصر فعاليات المدرسة الصيفية على الورش والمحاضرات والتدريبات المكثفة، بل هناك برنامج ليلي تعرض من خلاله جملة من الأفلام الروائية العالمية، التي يتمحور موضوعها حول المدرسة، منها على سبيل المثال الفيلم الإيراني «أولاد الجنة»، وفيلم «السلاحف يمكن أن تطير»، وغيرهما . . . وتؤكد عيسى أن اختيار المكان الهادئ والمنعزل فوق تلة مرتفعة في قرية «سوف» قرب جرش، لم يأتِ اعتباطاً، بل لما له من أثر إيجابي على أداء المشاركين في المدرسة الصيفية، وذلك لقناعتنا أن من بين أهداف المدرسة تعزيز الدور الإنساني للمعلم، وليس المهني فحسب، وهذا ما تحققه الأجواء القريبة من الطبيعة بكل ما تحمله من بساطة، لاسيما أنها فرصة مهمة للتغيير».

جامعة عربية

وعبر طلاب المدرسة في سنواتها الثلاث عن أهمية ما تقدمه المدرسة على البعدين الأكاديمي التربوي، والاجتماعي الذي يعبر عنه التواصل بين المشاركين من دول متعددة، ما دفع البعض إلى وصفها بالجامعة العربية.

مدرب التمثيل والسيكودراما المصري، سامح عزت أحمد، والطالب في السنة الثانية لمدرسة «القطان» الصيفية للدراما، يروي حكايته مع المدرسة، ويقول: مع الوقت اكتشفت أهمية الدراما في جوانب متعددة في الحياة، وليس للتمثيل فقط، كما هو الحال في استخدامها للعلاج النفسي، والإصلاح، وتعديل السلوك، وغيرها كما هو في التعليم، وحين علمت أن مدرسة القطان الصيفية للدراما ستقوم بتدريب طلابها على الدراما في التعليم، والدراما التكوّنية، وعباءة الخبير، قررت المشاركة، وسعدت بقبولي كأحد الطلاب، كوني كنت أسعى جاهداً لاستخدام الدراما في تدريب الأطفال بمختلف شرائحهم الاجتماعية والاقتصادية، وبخاصة أن للأطفال خيالاً واسعاً، وقدرة مهولة على استدخال الدراما، والاستفادة منها.

ويؤكد أحمد: استفدت كثيراً من المدرسة الصيفية، ليس فيما يتعلق بتدريبي على كيفية التعامل مع الأطفال، بل في آلية العمل على إيقاظ الطفل الكامن داخلي . . . حين نتدرب ونلهو في بعض الحصص نبدو كـ«العيال» . . . مدرسة «القطان» للدراما أيقظت الطفل بداخلي، وأعتقد أن هذا هو الأهم في الدراما «أن تكون طفلاً».

ويضيف المدرب المصري: من خلال اشتمال المدرسة على طلاب من جنسيات مختلفة، فإننا نكوّن خبرات جديدة عبر التعرف على النظم التعليمية والتربوية، وطرق استخدام الدراما في التعليم بالمدارس العربية المختلفة، وهذا أمر في غاية الأهمية، يضاف إلى ما تقدمه المدرسة الصيفية . . . تعلمت من كل شخص في هذه المدرسة الكثير، حتى لو لم أعمل معه بشكل مباشر.

ويشيد أحمد بأسلوب التعليم في المدرسة، ويقول: لا يتعامل معنا الأستاذ وسيم الكردي بأسلوب المدرب والمتدرب، بل نتفاعل كبشر مع بعضنا البعض، نعبر عن أحاسيسنا وننتصر لها قبل أي شيء آخر.

من جهتها، أكدت رانيا منصور، المعلمة الفلسطينية في الناصرة، والطالبة في السنة الثانية للمدرسة الصيفية أيضاً، أن فكرة المدرسة جاءت لتتوافق مع رؤيتها الرافضة للطريقة النمطية في التعليم، التي

تقتصر على اللوح (السبورة)، والكتاب المدرسي فحسب، وبالتالي «التحقت بالمدرسة للخروج من هذا الإطار الممل، ووجدت في المدرسة الصيفية للدراما ضالتي»، مشيرة إلى أنها استثمرت دراستها في المدرسة لتعميم التجربة عبر مدارس صيفية وورش تدريبية في الناصرة، وبخاصة أن تمرير الدراما في المرحلة الثانوية التي تدرس طلابها تبدو أكثر صعوبة من تمريرها لدى طلاب المرحلة الأساسية.

وعبرت منصور عن سعادتها بما أتاحته المدرسة من فرصة لها للتعرف على غيرها من الفلسطينيين في الضفة الغربية والشتات، وعلى العرب أيضاً، مشددة أنها، وعبر المدرسة استطاعت كسر العديد من الصور النمطية السائدة عن الفلسطينيين داخل «الخط الأخضر»، مشددة على أهمية المدرسة في خلق العديد من الصداقات العابرة للحدود.

من جهتها، شددت ريما طه، معلمة اللغة العربية في مدرسة دير اللاتين ببيرزيت، على أنها ومنذ اللحظة الأولى للإعلان عن المدرسة الصيفية للدراما، راقت لها الفكرة، وشعرت بحماسة بالغة للمشاركة، وبخاصة أن الاهتمام بمجالات كهذه يكاد يكون محدوداً في الأراضي الفلسطينية، ولا ينتشر على نطاق واسع في المدارس.

وتحدثت طه عن التجربة المريرة التي عانها المشاركون في المدرسة الصيفية من فلسطين، وبخاصة بعد إعاقة تحرك الحافلات التي تقلهم من الأراضي الفلسطينية إلى الأردنية من قبل سلطات الاحتلال، بسبب زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لمعبر الكرامة، أو ما يعرف إسرائيلياً باسم «جسر اللنبي»، وهو ما أثار انقباضها، وأحدث حالة من الاستياء والندم أحياناً، لكن سرعان ما تغيرت الحالة النفسية لها مع توالي الأيام في المدرسة، التي تلتحق فيها للسنة الأولى.

وتضيف طه: قبل أن أقرأ إعلان هذه المدرسة الصيفية، كنت أبحث عن مؤسسات تعنى بتوظيف الدراما في التعليم، لكسر الجمود في طريقة التعليم في مدارسنا . . . الدراما تخلق حالة من التفاعل بين المعلم والأستاذ، وتكسر الحواجز بينهما، وهو ما يساهم في تثبيت المعلومة في ذهن الطالب، ووصولها إليه بشكل أسرع . . . المدرسة الصيفية مبادرة في غاية الأهمية ونأمل أن تتواصل، ويتسع دورها أكثر فأكثر.

وحول شمول المدرسة طلاباً من دول عربية عدة، قالت طه: حين علمت بمشاركة طلاب من مصر، ولبنان، وسوريا، والعراق، إضافة إلى فلسطين، سعدت كثيراً، لأن تبادل الأفكار والخبرات أمر في غاية الأهمية . . . هناك حالة من المودة والتعاون تسود المدرسة، وهذا يجعلها أكثر فعالية.

أما يوسف خواجا، المرشد التربوي في مدارس بلدة نعلين قرب رام الله، فقال عن تجربته في المدرسة الصيفية: استطاعت المدرسة إخراجي أولاً من حالة الروتين اليومية القاتلة التي يعيشها الكثير من زملائي العاملين في المدارس، وجاءت لتضع حداً لهذا الروتين

القاتل . . . مع الوقت أدركت أن الدراما تجعلك تدرك أبعاداً أخرى في الحياة، وتتعامل معها من مناظير أخرى، وهي آلية مهمة للحضور والوجود الإنساني . . . هذا ما كنت أبحث عنه، ووجدته في المدرسة.

وأشار خواجا إلى أنه على المستوى الشخصي، استفاد كثيراً مما تعلمه في المدرسة الصيفية، وبخاصة في طريقة تعامله مع الطلاب، مؤكداً أنه حقق جزءاً كبيراً مما يسعى إليه، وتسعى إليه المدرسة كما يراها، ألا وهو تغيير الذات . . . هذا التغيير الذي يحدث بتفاعل الذات مع نفسها، ومع الآخرين.

وشدد خواجا على أن من أهم أبعاد مدرسة الدراما هو التأكيد على الهوية العربية، عبر إشراك طلاب عرب من دول عدة مع طلاب فلسطينيين من مختلف المناطق داخل الوطن وخارجه . . ويقول: مدرسة القطان للدراما الصيفية بمثابة جامعة عربية . . وإذا ما تحدثنا عن الجامعة العربية ككيان يضم الدول العربية، فالمدرسة قدمت لي ما لم تقدمه هذه الجامعة.

من جهتها، عبرت العراقية نقاء العبادي، وتعمل مع العديد من المؤسسات الدولية العاملة في العراق، وذات العلاقة بالأطفال والمتسربين من المدارس، والطالبة في السنة الأولى بمدرسة القطان الصيفية للدراما، عن فخرها بتجربة هذه المدرسة التي تأتي من فلسطين التي تعاني الاحتلال منذ عقود، ومن بلد تتقاطع ظروفه الصعبة كثيراً مع العراق، وهو ما يجعلها تشعر بالأمل . . وقالت: المدرسة عمل فلسطيني عربي مهم، وإنجاز راق للغاية، يهدف إلى النهوض بمستوى التعليم في المدارس العربية عبر الدراما، مشيرة إلى أن اشتراكها بالمدرسة كانت عبر الإنترنت، معبرة عن سعادتها بالالتحاق بالمدرسة التي تعمل على تطوير مسيرة التربية والتعليم في الدول العربية، عبر الدراما.

وقالت العبادي: المناهج، وطريقة التدريس، جديدة ومبتكرة ومتميزة . . وهو ما جعلني أتفاعل مع المدرسة بشكل سريع، إضافة إلى كون المدرسة أتاحت لي فرصة التعرف على تجارب وخبرات

ومستوى التعليم في الوطن العربي، عبر المشاركين العرب في المدرسة . . . ولا أبالغ حين أقول إن ما استفدته في أول يومين في المدرسة الصيفية ربما لا أستفيده في عامين في أية كلية أو جامعة .

وحول العلاقات الإنسانية التي استطاع الطلاب نسجها عبر المدرسة الصيفية، حتى باتت جامعة عربية بمعنى مختلف عمّا تحمله الجامعة العربية ذات الإطار السياسي، يقول مالك الريماوي، الباحث في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، والمعلم في المدرسة الصيفية: فكرة الالتقاء هذه بين طلاب من مختلف العالم العربي من أهم مفرزات المدرسة الصيفية . . شعرت بشغف كبير من الكثيرين للتعرف على أوضاع غيرهم من البلدان عبر القادمين من هذه الدول، وبخاصة فلسطين، والعراق لخصوصية الأوضاع فيها . . ثمة تفاعل حقيقي بين الطلاب من مختلف الجنسيات، وساهم هذا التفاعل في تغيير الكثير من الصور النمطية السائدة لدى البعض عن الآخرين .

حكاية المدرسة

وسيم الكردي، مدير مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، وأحد القائمين على فكرة المدرسة من بداياتها يقول: مع السنة الثالثة للمدرسة هناك مستوى عالٍ من الشعور بالإنجاز يشتمل على شعور عالٍ من الخوف والمسؤولية أيضاً . . كثيرون ساهموا في نجاح هذه التجربة وأوصلوها إلى ما هي عليه الآن، وبخاصة المعلمين المتطوعين من فلسطين وخارجها من أجانب وعرب، وإدارة المدرسة، وموظفي مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، والباحثين في المركز، والعاملين في وحدة الملتيميديا في مؤسسة عبد المحسن القطان . . جميعهم ساهموا، بدعم من القائمين على مؤسسة «القطان» بشكل عام، في نجاح هذه التجربة، التي تهدف بالأساس إلى تقديم مستوى جديد ومختلف في التعليم .

ويرى الكردي أن أهمية المدرسة تكمن في المزج العالي بين النظري والتطبيقي العملي، وما بين تجاور رؤى تعليمية وتربوية مختلفة . . ويقول: المعلم يمر بثلاث سنوات، وبالتالي بعدة مستويات، وهذه هي السنة الأولى التي نخرج فيها معلمين كطلاب يحصلون على دبلوم من المدرسة الصيفية للدراما، وهذا في حد ذاته مدعاة للفخر . . هؤلاء الخريجون سيكون لهم دور بشكل أو بآخر في السنوات القادمة، فمن مهام المدرسة بناء وتطوير قدراتها من داخلها، وجزء مهم منها مبني على فكرة التطوع .

وحول الاتجاه نحو تفعيل دور الدراما في التعليم، ونزوح مركز القطان للبحث والتطوير التربوي نحو الريادة في هذا المجال، يقول الكردي: بعد سنوات من العمل في المركز، يمكن الحديث عن ثلاثة مسارات مبنية بطريقة متضافرة متداخلة من ناحية، ومن ناحية أخرى على توجه العبر مناهجي، وما بين مناهجي، وهي مسارات: الفنون والتعليم، واللغات والعلوم الاجتماعية، والثقافة العلمية والتكنولوجيا . . تجربة الدراما في التعليم باتت تجربة واقعية إلى حد ما، ضمن سياق أكاديمي ومعرفي رفيع .

والكردي الذي سبق أن حصل على درجة متقدمة في دراسة الدراما في التعليم، وله العديد من الإبداعات الثقافية والفنية، وسبق له ممارسة مهمة التعليم، كان له دور بارز في تحويل المدرسة إلى حقيقة تجسدت على مدار السنوات الثلاث الماضية، لقناعته بأن لا فصل بين التعليم، والفن، والثقافة، والأدب، ويقول: الصدفة لعبت دوراً أساسياً للتعرف على أن ثمة حقلاً أكاديمياً يعرف باسم «الدراما في التعليم»، ويعود الفضل في ذلك للزميلة سمر دودين من الأردن، التي قدمت محاضرة حول هذا الموضوع، ضمن فعاليات مهرجان مسرح الطفل الفلسطيني في رام الله قبل سنوات، ومن هنا بدأت الحكاية، إلى أن درست «الدراما في التعليم» في جامعة وسط إنكلترا في مدينة بيرمنغهام .

وحين عمل الكردي باحثاً ومسؤولاً للنشر في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، كان عليه القيام بتطوير العلاقة مع المعلمين في المدارس، وبخاصة فيما يتعلق باللغة، ثم بدأت فكرة المدرسة بعد أن تشجع أستاذي في الجامعة، الخبير البريطاني ديفيد ديفز، الذي قدم سلسلة محاضرات حول «الدراما في التعليم» في الأراضي الفلسطينية، قبل أن يشارك في تأسيس المدرسة الصيفية، التي يشغل فيها ديفز منصب المدير الأكاديمي لها . . وها هي المدرسة على تلة ساحرة قرب جرش .

من تحت الركام

من جهته، أكد ديفز بعد أن تحدث كثيراً عن أهمية الدراما في التعليم، ودورها في استكشاف إنسانية الإنسان، أن مدرسة القطان الصيفية للدراما مشروع في غاية الأهمية، وفريد من نوعه على مستوى الوطن العربي، ومستوى العالم، ويقول: هي مدرسة فلسطينية تقدم خدماتها للمعلمين من فلسطين ودول عربية عدة، وهي تأكيد على أن الفلسطينيين الذين عانوا ولا يزالون الكثير من المآسي والانتكاسات، كما عانوا كثيراً من الاضطهاد . . هذه المدرسة هي بمثابة زهرة تخرج من تحت ركام الدمار والمعاناة والاضطهاد . . إنها أكبر دليل على قوة روح الإنسان الفلسطيني، وهي شكل مهم من أشكال الصمود والمقاومة.

ذوو الاحتياجات الخاصة

وقامت البريطانية ألين آشبي، المرشدة المشرفة للمعلمين الذين يتعاملون مع ذوي الاحتياجات الخاصة في بريطانيا، بتدريب الطلاب المعلمين على التعامل مع طلبتهم من ذوي الاحتياجات أو المصابين بالتوحد، أو أولئك الذين يعانون من مشاكل التواصل الاجتماعي.

وآشبي سبق لها أن عملت طويلاً في هذا المجال، على الرغم من عدم تخصصها في الدراما، وهي من المتخصصات المعروفات على مستوى بريطانيا في هذا المجال.

وترى آشبي أن ثمة مواصفات خاصة للمعلمين الذي يتولون مهمة تدريس ذوي الاحتياجات الخاصة، وتقول: أعتقد أن من المهم على هؤلاء المعلمين التركيز على مكامن القوة لدى هؤلاء الطلبة، والنظر إلى ما هو أبعد من الإعاقة التي ترافقهم . . وبخاصة أن العديد منهم يملكون مهارات في مجالات متعددة، لا بد من المعلم العمل على اكتشافها وتنميتها . . وتضيف: هناك الكثير من الطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة أذكياء جداً، وحتى عباقرة، ويجب علينا ألا ندمرهم بإهمالنا.

وتعبر آشبي عن عدم رضاها عن مستوى الاستثمار البريطاني على وجه الخصوص، والأوروبي على وجه العموم، في الطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة، وتقول: قطعنا أشواطاً مهمة، وإنجازات جيدة لكننا لا نزال بحاجة إلى المزيد . . العديد من الطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصة التحقوا بمدارس نظامية في بريطانيا وأوروبا، لكن النسبة لا تزال دون الطموح.

وتوضح آشبي: ليس من السهل بمكان إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس النظامية . . . الأمر بحاجة إلى معلمين يملكون مهارات خاصة، مبدعين وخلاقين، وإرادة، وإصرار، والكثير من الصبر، مشيرة إلى أنه في بريطانيا، وبالتحديد في إنجلترا لدينا العديد من المساعدين الذين يقومون بالمساهمة في إعانة المعلمين على عملية الدمج هذه، مشيرة إلى أنها تعتقد أن إنجلترا، والدول الاسكندينافية، وبخاصة الدنمرك، من أكثر دول العالم تطوراً في هذا المجال.

وحول تجربتها في مدرسة «القطان» الصيفية، وهي من دربت طلاباً هم بالأساس معلمون في دول لا تزال النظرة الاجتماعية السائدة تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة سلبية في الغالب، تقول: كانت تجربة مفيدة . . تعرفت فيها عبر الطلبة على ما يملكونه من معلومات وخبرات في هذا المجال، واطلعت أكثر على الواقع الذي يعيشه هؤلاء الطلاب في فلسطين والوطن العربي، وخرجنا بقناعة أن الدمج التربوي في المدارس قد يكون خطوة مهمة باتجاه الدمج الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة.

وأضافت آشبي: العديد من المعلمين الفلسطينيين؛ أي من طلاب المدرسة الصيفية، أكدوا لي اهتمامهم بهذا الموضوع، كون أن في فصولهم طلاباً من ذوي الاحتياجات الخاصة، وأنهم بحاجة إلى دورات مكثفة كهذه لترشدهم إلى الطرق السليمة والحديثة في آن، للتعامل مع هؤلاء الطلاب، ولدمجهم مع بقية الطلبة، وهذه الروح ساهمت كثيراً في إنجاح هذا التدريب حول الطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة.

وأكدت آشبي على أهمية المدرسة التي يشرف عليها مركز القطّان، وتبنيها في الدورة الأخيرة لموضوع الطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة. وقالت: هذه مبادرة في غاية الأهمية، وتفيد شريحة ليست صغيرة، ويمكن أن تكون ذات فعالية كبيرة في أي مجتمع، شريطة دعمها وإسنادها نفسياً، ومادياً . . ما فعلته هو أنني قدمت خبرتي للطلاب المعلمين على أمل الاستفادة منها في مدارسهم، وآمل أن أكون قد وفقت في ذلك.

ومن واقع خبرتها الطويلة في العمل مع الطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة، تحدثت آشبي عن العديد من الطلاب والطالبات الذين يعانون من إعاقات مختلفة، استطاعوا تحقيق إنجازات كبيرة ومهمة في مجالات عدة، من بينها طالبة كانت تعاني من مشاكل سلوكية عدة، ولم يكن مرغوباً فيها في أية مدرسة . . قمت بتدريسها، وتم مع الوقت إصلاح الخلل لديها، عبر منحها الثقة بنفسها، وهي الآن معلمة قديرة.

ومن الحكايات التي سردتها وبكت حين تحدثت عنها حكاية حفيدتها ابنة الخمسة أعوام، التي لا تمشي ولا تتحدث، لكنهم قاتلوا من أجلها، وهي اليوم تتحدث عبر الحاسوب، وتذهب صباح كل يوم إلى مدرسة نظامية، وليس مدرسة متخصصة بتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة، وتمشي على كرسي متحرك، لكننا نحبها كثيراً، وسعيدون بها، كما هي سعيدة باهتمامنا، وبقدرتها أخيراً على الاندماج في المدرسة والمجتمع.

ومن واقع خبرتها أيضاً تشدد آشبي في مخاطبتها للأسر التي لديها طفل أو طفلة من ذوي الاحتياجات الخاصة، وفي حديثها مع المجتمعات العربية وفي جميع أنحاء العالم: على الجميع أن يحتفي بأطفاله، فالحق في الحياة مكفول للجميع . . وأن لا يتم التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة على أنهم وصمة عار، بل على العكس من ذلك، عليهم تعزيز ثقة الأطفال بأنفسهم، والقتال من أجل

تحصيل حقوقهم في مختلف المجالات داخل المجتمع، بدءاً من حقهم في الحياة، مروراً بحقهم في التعليم، وحتى حقهم في العمل كغيرهم من أبناء المجتمع، مؤكدة أن المهمة ليست سهلة لكنها ليست مستحيلة.

وتؤكد آشبي أن عملية إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة، وبخاصة الأطفال، في المجتمع، هي عملية تكاملية بين الأسرة، والمدرسة، والمحيط العائلي، والحكومة، وذوي الاختصاص أيضاً، وهي عملية تراكمية أيضاً، ولا تؤتي أكلها في ليلة وضحاها.

خصوصية الأطفال

من جهته، قدم اليوناني كوستاس أمويروبولوس، في إطار المدرسة الصيفية، ورشة عمل عن الدراما ومرحلة الطفولة المبكرة، وعن هذه الورشة يقول: أنا أدرس الأطفال في المرحلة الأساسية، إضافة إلى إشرافي على تدريب المعلمين في استخدام الدراما في التعليم، وبخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة.

ويقول أمويروبولوس إن أهمية استخدام الدراما في هذه المرحلة، تكمن في أنها محببة جداً لدى الأطفال، وتأثيرها فعال أكثر من غيرهم من الطلبة في مراحل أخرى.

وأشار أمويروبولوس إلى أن هناك اهتماماً لدى الأوروبيين في هذه المرحلة العمرية، لكن ليس الكثير منهم يدرك الطريقة المثلى للتعامل التربوي معها، فهي ليست مجرد مرحلة عبور باتجاه المرحلة الثانوية، كما يتعامل معها الأغلبية.

ويؤكد أمويروبولوس: فلسفة النمو في مرحلة الطفولة المبكرة، التي هي أقرب إلى اللهو والاستكشاف، فلسفة ليس من السهل هضمها، لكن هضمها بالطريقة السليمة هي الطريق نحو النجاح في التعامل معها . . ليس المهم إنفاق مبالغ كبيرة على إنشاء مدارس لهذه الفئة العمرية من الطلبة . . المهم ماذا نفعل داخل هذه المدارس، وكيف نسير العملية التعليمية والتربوية داخلها . . علينا أن نكون أكثر قرباً من احتياجات الأطفال وطريقة تفكيرهم.

ويشير أمويروبولوس إلى أن مرحلة الطفولة المبكرة تختلف وفق اعتبارات كل دولة، ففي اليونان مرحلة الطفولة المبكرة من 4 سنوات وحتى 6 سنوات، وفي بريطانيا حتى 7 سنوات، في حين تبدأ في سورية مثلاً من عمر السنة.

وحول خصوصية الجيل الجديد من الأطفال، وطرقه الحديثة في التفكير والتعاطي مع الأمور، التي تختلف عما كانت عليه الأجيال في السابق، يقول أمويروبولوس: هذه القضية تحتاج إلى نقاش واسع، وليس بالضرورة أن تكون هذه النظرية سليمة . . ما وصلنا إليه من حالة معرفية متقدمة في عصرنا هذا انعكس على الأطفال، بحيث لم تعد الأمور تفرض عليهم كما كانت تفرض علينا الأمور على سبيل المثال . . وهذا نابع من إدراكنا بأهمية خلق جيل قادر على أخذ قراراته بنفسه، وتحمل مسؤولياته، ليكونوا في المستقبل مواطنين صالحين مفعمين بالطاقة والحيوية.

وحول دور الدراما في كل هذه العملية، يقول أمويروبولوس: أساس الدراما يقوم على استكشاف الحالة البشرية، وهي بالتالي تقدم للأطفال في هذه المرحلة العمرية فرصة أن يبصروا بأعينهم لا بأعين الآخرين، ويفكروا بعقولهم لا بعقول غيرهم، وبالتالي تمنحهم أدوات للاستكشاف والتحليل واتخاذ القرار، والأهم من ذلك كله اكتشاف إنسانيتهم.